مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches
And Scientific Activities

العدد الثامن
September 2023 سبتمبر

فلسفة الدين والأخلاق عند وليم جيمس

أ.مريم مصباح عبد الله رجال ..
فلسفة، كلية التربية العجيلات / جامعة الزاوية
m.irjal@zu.edu.ly

الملخص:

يتناول هذا البحث فلسفة الدين والأخلاق عند وليم جيمس، الذي يعتبر من رواد الفلسفة الأمريكية المعاصرة، وأحد مؤسسي الفلسفة البرجماتية، التي قامت بطرح المنهج البرجماتي كبديل للمنهج العقلي والتجريبي، وإن كانت البرجماتية إمتداد للمنهج العلمي التجريبي ، وقد اعتمدت صحة الفكرة من خلال النتائج او المنفعة المتحصل عليها، وأن القوانين الأخلاقية كاغيرها من القوانين هي وليدة الحياة الواقعية، فبتعدد التجارب العملية تتعدد التجارب الدينية، وكذلك الأخلاق عنده نسبية تتغير بفعل تغير الزمان والمكان؛ لأن الحياة عند وليم جيمس هي كفاحاً مستمر، وقد ركز البحث على عدة محاور أساسية هي: الأخلاق عند وليم جيمس ، التجربة الدينية، إرادة الاعتقاد.

Abstract

This research deals with the philosophy of religion and ethics according to William James, who is considered one of the pioneers of contemporary American philosophy, and one of the founders of the pragmatist philosophy, which proposed the pragmatist approach as an alternative to the rational and experimental approach, even though pragmatism is an extension of the experimental scientific approach, and the validity of the idea was based on results or benefit. The result is that moral laws, like other laws, are the result of real life, so with the multiplicity of practical experiences, religious experiences multiply, and likewise morals for him are relative and change due to changes in time and place, because life according to William James is a continuous struggle, and the research focused on several basic axes, which are: morals According to William James, religious experience is the will to believe .

Copyright for the journal © حقوق الطبع محفوظة للمجلة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء سيد المرسلين محمد النبي الأمي المصطفى الكريم، وعلى آلة وصحبه ومن دعا بدعواته وتمسك بهديه إلى يوم الدين.

فمند مطلع القرن العشرين اجتاحت الفلسفة البرجماتية القارة الأوربية إلا أنها لم تلعب ذلك الدور الذي لعبته في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تغلغلت في مختلف ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والأخلاقية.

فأصحاب الفلسفة العملية البرمجاتية من الأمريكيين يكرهون تبديد الفكر في نبش الماضي، أو إضاعته في متاهات النظر العقلي المجرد، ومن ثم يطالبون بالتسليم وتحقيق منافع عملية وإن كان العقل يرفض التسليم بصوابها، وكان في مقدمتهم، وليم جيمس موضوع الدراسة ، الذي اعتني بالجانب الفلسفي والمشكلات الفلسفية المهمة سواء كان منها في المنهج أو الميتافيزيقا أو النظريات الخلقية أو النظريات الدينية، فقد ولدت رغبة عند وليم جيمس في الفلسفة إذ قال: (الفلسفة صناعة غربية قد تكون أشرف الصناعات، وقد تكون أنفسها وأياً ما كان أمرها فهي بناء لا هدم، وهي في ذلك كالفن تماماً)[1] وارتبط اسم وليم جيمس بالمذهب البرجماتي، وهو مذهب كثيراً ما لاكته الألسن وأسيء فهمه، وهذه الدراسة هي محاولة لإبراز المذهب الذي نادى به وليم جيمس على حقيقته، فهو مذهب مستقل له رأيه في المناهج الفلسفية، أي له نظرية مستقلة في الدين والأخلاق.

إن وجهة النظر المعاصرة للأخلاق لعلها تنتج من تأثير العلم، بل نتيجة لسيادة العلم في كل مجالات الحياة الاجتماعية والطبيعية وكذلك النفسية، ومن هنا أخذت فكرة النسبية تزداد انتشارا إلى أن بسطت ظلالها على القيم الخلقية الخاصة، وبذلك لم تعد القيم الخلقية مطلقة، فالفلسفة البرجماتية التي ترى أن القوانين الأخلاقية كغيرها من القوانين هي وليدة الحياة الواقعية، فما ثبت عبر التاريخ أنه نافع جعلناه قانونا خلقيا ننظم به سلوكنا.

ويبين وليم جيمس حق الإنسان المشروع في التجربة الدينية ، وفي إرادة الاعتقاد الديني؛ لأن المسألة تختلف في الواقع حسب المصالح الطبيعية، وكذلك حسب الرؤية الدينية ومدى ارتباطها بالأخلاق.

مشكلة البحث:

إن من أبرز إشكاليات البحث، هي معرفة وجهة نظر وليم جيمس للدين والأخلاق، ومدى ارتباطها بالحياة العملية، وكذلك الإجابة عن عدة تساؤلات لعل من أبرزها:

1- ماهي نظرة وليم جيمس للخير والشر ؟

2- أين يوجد الحسن والقبيح في فلسفة وليم جيمس الخلقية؟

3- ماهو دور التفاؤل في الدين والأخلاق؟

4- هل للإنسان الحق في الاعتقاد الديني؟

أهمية البحث:

تعد هذه الدراسة من الدراسات التي أُجريت في مجال الدين والأخلاق في الفكر الغربي المعاصر حيث تكشف لنا مدى تأثر الفلسفة البرجماتية بأفكارها المتنوعة في مجال الحياة الدينية و الأخلاقية، وبذلك لم تعد القيم الخلقية مطلقة لا يجوز تحليلها وتعديلها، بل صارت هي الأخرى نسبية كغيرها من الأشياء التي طالها الفكر البرجماتي ، وكذلك الاعتقاد وارتباطه بالدين وهل هو مرتبط بالإيمان.؟

وبالتالي لابد من إعادة فحص أخلاق المنفعة بكل اتجاهاتها.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- الدين والأخلاق جزء لا يتجزأ من العلوم النظرية والعملية، فهما بالدرجة الأولى بناء يهدف إلى تنظيم الفرد والمجتمع.

2- معرفة إن الدين والأخلاق هما روح الأمة، وسبب من أسباب وحدتها.

3- دراسة الدين والأخلاق تكسب صاحبها الدقة ومعرفة الأفعال الخلقية، فهما يفيدان في تهذيب الخلق وتربية السلوك، والسمو بالروح والارتقاء بالإنسان.

منهجية البحث:

استعانت الباحثة بالمنهج التحليلي للأفكار البرجماتية في الدين والأخلاق في فلسفة وليم جيمس.

محاور البحث:

المحور الأول: الأخلاق عند وليم جيمس

إذا كان وليم جيمس قد أنزل القيم المطلقة والأحكام العامة من أبراجها، وجعلها قيماً نسبييه، وجعل الإنسان هو الحكم في تقييم القضايا، التي تساعد على اجتياز الصعاب، أو نأخذ بيده للخلاص من كل مخاطر الطبيعة، وقد تصلح هذه الأحكام والقيم في زمان أو مكان معين، ولا تصلح في زمان أو مكان آخر. على اعتبار أن الفلسفة عند وليم جيمس تساعد الإنسان في قضاء حاجاته، وتمد له يد العون في حياته العملية، وتقضي على مخاوفه من سلطة الطبيعة؛ لذا فإن على الفرد أن يأخذ بالمذهب الذي يأتيه بالنفع والسعادة، أما المذهب الذي يأتي بالعكس فعليه أن ينبذه.

والنافع في نظر وليم جيمس هو الحق حتى لو عجز العقل نفسه عن إقامة الدليل على صوابه، والنفع بهذا هو مقياس الخير والشر، وهو مقياس القيم كافة[2] فكلمة الحق، والنافع مترادفتان، أحدهما داخل العقل والآخر خارجه، فعندما تكون الفكرة في أول سيرها نحو التحقق نصفها بكلمة الحق حتى إذ ماخرجت إلى عالم الخبرة، وصفناها بأنها نافعة وقد طبق وليم جيمس نفس هذا القياس على الأخلاق "إنه الذي يجعل الفضيلة فعلاً ناجحاً، فإذا ألغيت مختلف المواقف التي يقول عنها الناس إنها من الفضيلة ، أو الرذيلة ألغي منها جميعاً عامل مشترك هو وجود الإنسان، ولو خلا العالم من البشر لبقي العالم غير موصوف بخير أو شرء[3]يرى وليم جيمس أنه لامعنى لقيام علم الأخلاق في عالم ليست به حياة إنسانية إنما به عناصر مادية، ومركبات كيميائية لا تجد فيه مدلولا للخير والشر، والفضيلة والرذيلة والحسن والقبيح والإلزام ولذلك يرى وليم جيمس "أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات لها مطالب ورغبات وإحساسات ومشاعر هذه الكائنات هي الإنسان"[4]حيث قال وليم جيمس حين يتساءل على ما نعنيه بكلمة حسن وقبيح، يظهر أولاً أنه ليس لهذه الكلمات مدلول في عالم ليست به حياة شعورية تصور عالماً لا يوجد فيه إلا حقائق مادية ومركبات كيميائية موجودا منذ الأزل من غير إله أيكون هناك معنى للقول بأن بعض حالات هذا العالم خير من بعض! وإذا أمكن أن يكون هناك عالمان من هذا القبيل، فهل يكون هناك ما يبرر تسمية أحدهما خيراً والأخر شراً !!

وما الذي يستلزم في عالم مادي صرف إنتاج تلك الحقيقة الأخرى فالحقائق المادية تكون أو لا تكون، ولا يمكن أن نفترض مطالب، سواء أكانت موجودة بالفعل أو لم تكن موجودة، وإذا كانت لكلٍ مجرد حقائق مادية، بل تصبح حقائق ذات حس وشعور، فإذا كان لكل من الحسن والقبيح وجود، فلابد أن يكون لها رغبات، إذا كانت لها رغبات لم تكن مجرد حقائق مادية، بل تصبح حقائق ذات حس وشعور فإذا كان لكل من الحسن والقبح وجود فلابد أن يكون لهما تحقق في نفس ما. والخطوة الأولى في الفلسفة الأخلاقية هي إظهار أنها لا يمكن أن تتحقق في عالم ذو طبيعة غير عضوية وأن بيئتها الوحيدة هي العقل الذي يحس بها وأما العالم المكون من حقائق مادية بحتة فلا يمكن أن تجد فيه القضايا الخلقية مكانا، فوليم جيمس يرى أن مصدر الأخلاق إنساني، لأن له مطالب ورغبات يحتاج إشباعها. ولأن الرغبات ليست من طبيعة مادية، بل هي حقائق حسية وشعورية لا يمكن أن توجد إلا في كائنات ذات حس وشعور وهذه الكائنات هي الإنسان بكل رغباته.

وبهذا الشكل نعرف أن مصدر الأخلاق عند وليم جيمس هو الإنسان؛ لأنه هو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم، ولذا فالمعقول أن يكون الإنسان مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة، إن الخير خير بالنسبة له. والشر شر بالقياس إليه، وفي ذلك يقول وليم جيمس "إن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العالم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"[5]نعم إن القيم الخلقية من صنع الإنسان ولكنها في بعض الأحيان لا تنفصل على القيم الدينية ولكنها بدورها موجه إلى الإنسان.

حاول وليم جيمس أن ينزل الأخلاق من عالم المثل إلى عالم طبيعي نفسي واعتبر أن قيام فلسفة خلقية مستحيل في عالم خالٍ من التجارب العقلية تبين أن كل واحد منا يسهم في بناء مدلول الفلسفة الخلقية بما يسهم في بناء الحياة الخلقية للجماعة، وبعبارة أخرى يتبين أنه لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في المسائل الطبيعية حتى ينقرض ذلك النوع الإنساني ، فالتجارب الإنسانية هي الوحيدة التي تبني عليها الأخلاق والفلسفة الخلقية خاصة إذ ينكر وليم جيمس على أخلاق العقل المطلق الذي يتضمن مواعظ وإرشادات تحث على الفضائل وترك الرذائل، أو تلقي على الإنسان القواعد الخالدة والقوانين الثابتة، فوليم جيمس يرى أن مثل هذا

العالم لا دلالة له ولامعنى وإنما المصدر الحقيقي لعلم الأخلاق هو الإنسان، ولذا كان هو مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة [6]وبهذا يمكن القول إن وليم جيمس قد جعل مادة الفيلسوف الخلقي هي المثل المتحققة في هذا العالم، والتجارب الفعلية التي يعانيها الأفراد ويقومون بأدائها، أي تلك التي أجمع البشر عليها من حيث الاستحسان والاستهجان وينبغي أن نتمسك بالحسن والقبيح في عرف المجتمع وللزمن فعله وأثره في تطور الفضائل، فقد ينهض بعض الأفراد ويرون آراء أو يتمسكون بأفعال جديدة يعتقدون أنها أكثر خيراً مما درج عليها الناس، فتتغير الفضائل إذا قبلتها الجماعة[7] .

أن الدور الذي يعطيه وليم جيمس للحكم على قبح وحسن الأفعال ربما يتغير من شخص إلى أخر فمثلاً الثورة على الحاكم الجائر يراه البعض فعلاً حسن؛ لأن بالثورة عليه ينتهي الظلم والجور، وأما البعض الأخر فيراه عملاً قبيحاً؛ لأن الثورة ستؤدي إلى نتائج سيئة وقبحا مثل الدمار والقتل ، والفقر حسب وجهة نظرهم فهناك من يحرم الثورة على الحاكم مهما تكن الأسباب على سبيل الذكر الفيلسوف الإنجليزي هوبز يرى: "أن المجتمع بدون حاكم عبارة عن حشد من الناس بدون رأس، ولذلك فإن هناك أمامنا خيارين إما سلطة مطلقة أو فوضى كاملة والسيادة لاتقبل التجزئة فإما أن تكون هناك سلطة معترف بها وتجد دولة، أو لا توجد سلطة وبذلك توجد فوضى وبهذه الحالة لا يمكن مقاومة السلطة، ولا يوجد تبرير لتلك المقاومة؛ لأن التبرير الوحيد يتطلب موافقة السلطة ذاتها، فتعم الفوضى ويخفق الحاكم بتوفير الأمن"[8] وبهذا يرى هوبز تحريم الثورة على الحاكم بكل ما يحمل من خير وشر ولكن لا تنفق مع ما قاله هويز؛ لأن الفضائل تختلف من مجتمع إلى أخر، وربما يكن للزمن تأثير في تغييرها.

ومن خلال ما سبق يتضح أن وليم جيمس كان فليسوفاً متفائلاً، أكد وجود الخير وأبعد فكرة الشر، وبذلك لم يضع مبادئ عامة لنظرية أخلاقية لها بداية محددة ونهاية واضحة وإلا لا كان قد اتجه إلى بناء مذهب الخير الأسمى، وإنساق إلى ما نهى عنه أي وضع صيغة قطعية ثابتة. إذا كان وليم جيمس يحفزنا في مجال الأخلاق كما حفزنا في مجال العمل إلى ممارسة التجربة ومواجهة الحياة،n"ومن الخير لكل فرد أن يعتمد على حواسه الشخصية في مسائل السلوك الأخلاقي، وهذه الحواس تمثل معياره الأصيل فيما يتخذه من قرارات وما يقدم عليه من تصرفات"[9]

إن اهتمام وليم جيمس بالناحية العملية في حياة الإنسان، وذلك فهو فيلسوف أخلاقي أكثر مما هو فيلسوف نظرية معرفة أو أي مجال من مجالات الفلسفة النظرية، وقد حاول في جميع نظرياته أن يساعد الإنسان في أن يحيا الحياة السعيدة التي يتوق إليها والتي يجب أن يحياها، وبالرغم من هذا فإن وليم جيمس لم يكن يعترف بالأخلاق النظرية، ولا تستطيع الأخلاق في رأيه أن تنفرد كعلم قائم بذاته، وإنما هي قسم من الفلسفة، والفلسفة قسم منها فالاثنان في الحقيقة طريقان موصلان إلى هدف واحد، ولذلك قسم وليم جيمس فلسفته إلى ثلاث مسائل متمايزة هي: (10)

1- المسألة السيكولوجية وهي التي تعنى بالأصل التاريخي لأحكامنا ونظراتنا الأخلاقية.
2- المسألة الميتافيزيقية وهي حقيقة الحسن والقبيح والواجب.
3- المسالة المعيارية فهي مقاييس الحسن والقبيح

وإن الأخلاق عند وليم جيمس تتمثل في ثلاثة عناصر هم :

حرية الإرادة الإنسانية، ومذهبه في التفاؤل، والالتزام الخلقي.

1- حرية الإرادة:

يصرح وليم جيمس أن الإنسان حراً في أفعاله وليس مجبراً، وطلب من الإنسان أن يسلك طريقاً ولكن ما الفعل الإرادي عند وليم جيمس؟ وهل هذا الفعل حراً؟

ميز وليم جيمس في الفعل الإرادي بين عنصرين:

الأول: عبارة عن فكرة في عقل فرد ما وتتحول هذه الفكرة إلى فعل حركي وهذا الفعل الحركي هو الأثر الناتج لسيطرة الفكرة على العقل.

الثاني: فهو ما ينتج عن الفكرة من حركات جسمية، فهو شيء فسيولوجي يحدث في أساسه وبذلك يخرج وليم جيمس هذا العنصر من ميدان علم النفس ويدخله ميدان الفسيولوجيا، إن خطوة الحركة، أو الفعل ذاته الناجم عن قوة الفكرة خطوة لا أثر للعقل فيها وإنما هي خطوة ثانوية حيث يقول وليم جيمس "إن الغايات الوحيدة التي تنشأ من إرادتنا يبدو أنها حركات جسمية، ولذا نبدأ من الحكم بأن الأثار الخارجية المباشرة الوحيدة لإرادتنا هي حركات جسمية، ويجب أن تكون الحركات الإرادية وظائف ثانوية لا وظائف أولية"[11] فللفعل الإرادي عنصران فكرة يتبعها حركة ولكن كيف تصدر الحركة عن فكرة ما؟

يؤكد وليم جيمس بأننا نحتاج إلى فكرة ما لتنشأ عنها الحركة، وكذلك نحتاج إلى فكرة عن كمية

النشاط العصبي لتنبيه العضلات، أن الفكرة تصبح فعلا على نحو سهل إذا توفر **شرطان:**

1- أن تكون ممثلة لموضوعات الشهوة أو الانفعال، أي تنم عن لذة.

2- ألا توجد بالعقل أفكار أخرى تعارض الفكرة التي نحن بصددها، وهذا يضعف سلطان فكرتنا لو أحاطت به أفكار معارضة لها تخفف من أهميتها وقد تجعلها عديمة التأثير إذن وليم جيمس يهتم كثيراً بالوصول إلى قوة الفكرة وسلطانها العقل وإذا لم يتوافر هذان الشرطان كان تحويل الفكرة إلى عمل أمراً صعباً، ولكن يرى وليم جيمس أن حل هذه الصعوبة يتم بقبول الفكرة في العقل وإقناعه بها، ويجب أن تكون قوية لها سلطة و تأثير ويرى وليم جيمس أن الفكرة تكتسب قوتها حين يشعر الفرد أنها ضرورة ملحة، وهذا الشعور هي أن تسيطر على العقل وأن تصبح الفكرة مركز اهتمامه وأن تطرد الأفكار الأخرى من مكانها وتكون للفكرة قوة الضرورة والإلحاح عن طريق الجهد، فجيمس وضع الفكرة المحور الأساسي في نظرية الإرادة، لقوتها وسلطانها على العقل والشرط الذي وضعه هو الإقناع والقبول، وبالوصول إلى إجابة السؤال الثاني هل الفعل الإرادي حر أم مجبر؟ على ذلك يرد وليم جيمس أنه يبدو لي "أن الجهد ليس رد فعل ثابت وإنما هو المتغير المستقل من بين المعطيات الثابتة، وهذه المعطيات الثابتة هي ما لدينا من دوافع وطباع، فإذا كان كذلك فإن رغبة الجهد ليست دالة محددة لهذه المعطيات، ومن هنا تكون إرادتنا حرة" [12] وبذلك يكون استناد وليم جيمس في القول بالحرية لكمية الجهد المطلوبة لقوة الفكرة ليست كمية محدودة، وركز أن تكون هذه الكمية المحدودة ثابتة، ذلك معناه أن الجهد المحدد بالمعنى الدقيق يترتب عليه أن يجعل الفكرة مسيطرة على شعورنا في أي زمن وفي أي ظرف.

فالإرادة عند وليم جيمس ليست منفصلة عن باقي مظاهر الحياة، بل هي تعبير عن ذلك الميل الذهني الحركي الذي يدفع بالأفكار دائما إلى إنتاج مجموعة من الحركات، إلا إذا أعاقتها أفكار مضادة، وهذا يعني أن كل فعل إرادي هو مجرد نموذج للفعل الذهني الحركي، وماهية الحركة لا تنحصر إلا في استعداد الذهن لتركيز انتباهه في فكرة واحدة مع استبعاد غيرها من الأفكار، وحينما يتحقق ذلك ، فلابد أن يتولد الفعل عن الأثر بطريقة آلية، وعلى ذلك فإن حرية الإرادة عند وليم جيمس إن هي إلا قدرة الذهن على التحكم في جهد الانتباه[13].

ومما سبق نستخلص إن الأخلاق عند وليم جيمس هي أساس كل بناء إصلاحي حيث تقف إلى جانب التحقق الممكن لمثلنا العليا فالأخلاق كما يراها وليم جيمس هي" أخلاق كفاح ونضال وطبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر، وتجدد لا ينقطع، فلا وجود لأخلاق مكتملة؛ لأنه لا يوجد عالم كامل، فهي أخلاق تنمو نمواً متصلاً ، ولا تتوقف إلا عندما يتوقف العالم وتنتهي التجربة الإنسانية[14] وهذا يوضح لنا أن الأخلاق عند وليم جيمس أخلاق نسبية تتطور وتتغير طبقاً لرأي العام الذي يعده وليم جيمس معيار الصواب بالنسبة للأحكام والقواعد الأخلاقية.

2-التفاؤل:

إن نظرية وليم جيمس التي سماها المليورزم" التحسني "القائلة بإمكان التحسن أو التحول إلى الأفضل، وهو بهذا يقف موقفاً وسطاً بين مذهبي التفاؤل والتشاؤم؛ لأن العالم عنده ليس خيراً في ذاته وليس شراً في ذاته، ويمكنا أن نجعله خيرا بمكافحتنا للشر الذي فيه[15].

يرى وليم جيمس "أن التفاؤل عنصر أساسي من عناصر الدين ويتمثل هذا العنصر في الاعتقاد بعالم غير منظور، ومبرر هذا الاعتقاد أن أثاراً على حياتنا هي أثار التفاؤل، أي أن العالم الخفي قد يوجد نوعاً من الأمان والارتياح ويبصرنا إن العالم خير ومصدره واسع وأن الكون أوسع مما نرى وأنه يوجد مجال إمكان للحصول على السعادة إن أصابنا عجز أو يأس في عالمنا" [16]حيث يؤكد وليم جيمس أن وراء هذا العالم المشاهد عالماً أخر غير مشاهد لا نعرف عنه شيئاً إيجابياً، ولكننا ندرك أنه ليس لحياتنا هذه من قيمة إلا في علاقتها وارتباطها به وليست للعقيدة الدينية عندي من معنى إلا الاعتقاد في وجود نظام خفي غير مشاهد [17]وبهذا يربط وليم جيمس بين الدين والتفاؤل، ولا يكون للحياة قيمة إلا من خلال علاقتها وارتباطها بالدين.

والجدير بالملاحظة أن وليم جيمس لم يقرر الخلاص كما نادت به المسيحية، ولا ينكره كما رأى التشاؤميون الذين نادوا بأن الخلاص مستحيل، وأراد بهذا أن يقف موقفاً وسطاً بحسب قوله: بان الخلاص ممكن وإمكان الخلاص عنده قائم على أساس برجماتي عملي، إن الخلاص محتمل ويزداد احتماله كلما زادت الظروف التي تدعو إليه، إن لكل منا مثلاً رغبات يطالب بها، ويرغب فيها، فادا ما حقق كل فرد منا رغبة يهدف إليها فإنه قد يكون حقق لحظة من لحظات الخلاص[18] ومعنى هذا ان البرجماتية تقول بمبدأ الارتقاء والذي يعامل الخلاص لا على أنه

واجب الوجود، ولا مستحيل بل يعامله على أن يصبح احتمالاً أكثر فأكثر، كلما أصبحت الظروف الفعلية اكثر عددا، ومن هنا يمكن القول إن وليم جيمس يعتبر مبدأ الخلاص ممكنا عند الوصول إلى الكمال، لا احكاما مجردة او عقائد غير إنسانية، وبهذا ارتبطت نظريته في الخلاص بالميتافيزيقا أي مذهب التعدد؛ لأنه على الإمكان تأثر بنظرية دارون في القول بالارتقاء، وكذلك في اختياره للوسط الذي يستعمله أرسطو في الفضيلة بين إفراط وتفريط[19].

يتضح مما سبق أن موقف وليم جيمس بين مذهبي التفاؤل والتشاؤم موقف وسط ، فلا يسلم بأن أمر الخلاص أمر أكيد مفروغ منه ولا يزعم أن أمره مستحيل لا سبيل إلى تحقيقه بل يرى فيه شيئاً ممكنا من شأنه أن يصبح محتملاً أكثر فأكثر، كلما زادت الشروط المطلوبة لتحقيقه ، ومادام المستقبل مفتوحاً، ومادامت هناك إرادات فردية لا تكف عن العمل وعن إنقاذ العالم، بل ومادام في استطاعة كل فرد أن يقوم بدوره في عملية الخلاص فليس هناك مايبرر اليأس من مصير هذا العالم، وهذا فضلا عن أن كل فرد إنما يحقق خلاص العالم حينما يعمل على خلاص نفسه[20].

إذن وليم جيمس يرى أن خلاص العالم ممكن، بل بالإمكان أن يصير واقعا عمليا ويتضمن هذا الإمكان **واقعتين:**

الأولى– إننا متأهبون بما اجتمع لنا من مثل عليا للنضال من أجل تحقيقها، ويقتضينا أن نتدخل تدخلاً فعالاً في مصير العالم.

الثانية– إن هذا العالم ليس كتلة نهائية صارمة، وإنما هو جماع من عناصر مستقلة بحيث لا يمنعنا مانع من أن نعزل جانباً ما يتراء لنا شرا ونمحو ما يتوجس منه شراً، وأملنا من هذا كله أن يختفي كل شر من ذلك العالم النهائي الذي نناضل من أجله، وهنا نتساءل: ما هي نظرة وليم جيمس إلى الشر؟

إن الشر عند وليم جيمس هو القضية التي لم يستطع أن يوجد لها تفسيراً، فانتابته حالة من القلق ففي قوله: "يوجد إله محب للإنسان ألتفت إلى فكرة أخرى تصوره القوة الباطشة التي لا تحب ولا تعطي، أنما تقذف بالأشياء جميعاً إلى مصير محتوم"[21] والشر لا يقل واقعية عن الخير؛ لأن العالم ليس خيراً مخص ولا شراً بل هو في حركة قابلة للتحسن، أي قهر الشر

والتغلب عليه، أما الخير عند وليم جيمس فهو إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، وتحقيق الخير يكون بالنجاح في تجربة من تجارب الحياة، وكثيراً ما نأتي بأفعال دون أن يكون لنا مسوغ نظري لذلك، ومعنى هذا أن من حقنا أن نعتنق مبدأ خلقيا أو معتقداً دينينا لا يحملنا على اعتناقه تفكيرنا النظري المجرد، بل تدعونا إلى اعتناقه مطالب الحياة و مقتضياتها، وبهذا فإن وليم جيمس يرى أن الفعل الذي يأتيه الفرد خيرا يتحول على صاحبه إلى سلوك ناجح في حياته، وخيرته تتوقف على تقدير صاحبه، ومن هنا ذهب إلى "الفعل الفاضل هو الذي يشبع عند صاحبه رغبة أو تحقق له منفعة بمقدار ما تكون هذه النتيجة يكون حظه من الخير، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الخير هو الحل الوحيد الذي يعطي النتائج المثمرة، وهو يساعد الإنسان على التخلص من مشاكله"[22] و مما سبق يتضح إن مذهب وليم جيمس في التفاؤل الخلقي ليس مذهب خلقيا فقط، وإنما هو منبثق من فلسفة دينية وميتافيزيقية، أي عن طريق التفاؤل حل مشكلة الخلاص في الدين ، والشر في الأخلاق.

3- الإلزام الخلقي:

إذا كانت الأخلاق عند وليم جيمس لا يمكن قيامها في عالم توجد به عناصر مادية وكيميائية؛ لأنه يعتبر مداول الخير والشر والرذيلة والفضيلة والحسن والقبيح والإلزام، لا توجد إلا في عالم به حياة إنسانية، ولذلك يرى أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات لها مطالب ورغبات وإحساسات ومشاعر وهذه الكائنات هي بنو الإنسان[23] ومن هنا تساءل وليم جيمس عن ما تعنيه كلمة حسن وقبيح؟

فللوهلة الأولى يظهر انه ليس لهذه الكلمات من مدلول في عالم ليست به حياة شعورية، تصور عالما، لا توجد فيه إلا حقائق مادية ومركبات كيميائية موجودة من الأزل من غير إله، أيكون هناك معنى للقول أن هذا العالم خير من بعض؟ وإذا أمكن أن يكون هناك عالمان من هذا القبيل، فهل يكون هناك ما يبرر تسمية أحدهما خيرا والأخر شرا، ....والآن أنا متسائل هل يوجد الحسن والقبح والواجب في العالم المادي وحده؟ لاشك في أنه لا يوجد لو أن أحدا منهما كان في عالم لاشعور فيه، إذ كيف يتأتى لحقيقة مادية أن تكون خيرا من أخرى؟ ليست الخيرية علاقة مادية، إن الشيء في وصفه المادي، لا يمكن أن يكون حسنا أو قبيحا، كما أنه لا يمكن

أن يكون سارا ومؤلماً ولكن ما الذي يستلزم في عالم مادي صرف إنتاج تلك الحقيقة الأخرى؟ فالحقائق المادية تكون أو لا تكون، ولا يمكن أن تفرض مطالب، سواء أكانت موجودة بالفعل أم لم تكن موجودة (حقائق مادية)، وإذا كانت لها مطالب، فلابد لها رغبات، وإذا كانت لها رغبات لم تكن مجرد حقائق مادية، بل تصبح ذات حس وشعور، فإذا كان لكل من الحسن والقبيح وجود، فلابد أن يكون لهما تحقق في نفس ما، هو تأكيد على أن الخير والشر والحسن والقبيح لا يمكن أن يوجد إلا في عالم به أساسات ورغبات وشعور للتفاعل وهذه المطالب لا توجد إلا عند بني الإنسان؛ لأنه الكائن الوحيد القادر على التعبير عن مشاعره ورغباته المتجددة وبهذا يكون الإنسان مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة[24].

ومن هنا جعل وليم جيمس مادة الفيلسوف الخلقي هي المثل المتحققة في هذا العالم، ويؤكد أن المطالب الملزمة والرغبات المشروعة هي الحاصلة على إجماع شعبي، أي الحسن ما يراه الناس أنه كذلك، والقبيح ما ينكره غالبية الناس، يتضح مما سبق أن الأخلاق عند وليم جيمس يصنعها الإنسان، كونه المخلوق الوحيد القادر على الشعور والإحساس بالقيم، وهذه الأخلاق ليست خاضعة لقوة عليا، وحتى التفاؤل عنده يُصنع، وأن الشر لا يقل واقعية عن الخير، وأننا إذا أنكرنا وجوده، فنكون قد أنكرنا وجود الخير أيضاً، فليس مهمتنا أن نرى العالم خيراً بل أن نجعل منه عالماً خيراً.

المحور الثاني: التجربة الدينية:

يستند وليم جيمس على مصادر أساسية أو فرض أساسي هو أن الذهن ليس الوسيلة الصحيحة لإقرار العقيدة الدينية، وإنما وسيلة ذلك الغريزة، والوجدان وأن الذهن وظيفته فقط تقييم العقيدة أو تنسيقها، أو التعرض لها بالتعديل والتهذيب[25]، والسؤال المقترح هنا لماذا رأي وليم جيمس أن الوجدان لا الذهن هو الأساس في إقرار الدين؟ وإجابته تقول:" إن الدين يعتمد على الإيمان بعالم غير منظور، ولن يوصلنا الذهن إلى الاعتقاد به، وعجز الذهن عن البرهنة على وجوده لا يبرر رفض هذا الوجود وهو ما عرفه في حق الاعتقاد"[26].

إذا كان المذهب العملي يدرس الدين من وجهة نظر الحاجات الإنسانية نفسها؛ لذلك فإن وليم جيمس لا يعنى نفسه بالبحث عن أدلة لإثبات وجود الله، وإنما يمضي مباشرة إلى الوقائع،

فيجعل نقطة بدئه هي التجارب الدينية نفسها ولا يتحدث وليم جيمس عن التجربة الدينية على العموم، بل هو يتحدث عن تجارب دينية عديدة؛ لأنه يرى أن التجربة الدينية من الصور بقدر ماهناك من أفراد متدينين[27] أي تتنوع التجارب الدينية مابين الوضعية والديانات السماوية.

يرى وليم جيمس أن الدين هو" الاعتقاد بعالم غير منظور، إن خيرنا الأسمى كائن في إيجاد العلامة الناجحة بيننا وبين العالم، إن الإدراك المباشر للواقع غير المنظور قول غريب ولكن تزول الغرابة إذا علمنا أن التجربة عند وليم جيمس تتناول التجارب النفسية والتجارب الدينية ؛لأن وليم جيمس يثق بالتجارب الدينية لدى الصوفية، والتجارب النفسية في التنويم المغناطيسي" [28]إن موقف وليم جيمس في فلسفته الدينية، لا يتناقض مع كونه عالما نفسيا، ويتجلى ذلك في تناوله للتحول الذي يحدث للظاهرة الدينية سواء كان تحولا تدريجياً أو تحولاً فورياً كلاهما يفسره وليم جيمس تفسيراً طبيعيا لا يتجاوز نطاق الإنسان ذاته من خلال منطق اللاوعي، وبذلك لم يفسر وليم جيمس التحول تفسيراً غيبياً ولم يذهب إلى أن مصدره قوة عليا هي المسؤولة عما يحدث [29]أن التأثير النفسي للتحول يسيطر على فهم التجربة الدينية على الرغم من أنه لم يتجاوز الإنسان إلا أنه يخاطب عنصراً نفسياً لا عقلياً، ومن خلال م اسبق يتضح إن وليم جيمس كبرجماتي نظر إلى النتائج العملية، ولا يمكن فصل هذه النظرة عن فلسفته الدينية، لقد طبق وليم جيمس في المجال الديني الذي تميز به عن غيره من البرجماتين، إضافة صفات إلى الإله؛ لأن الإله لديه لا يخرج عن كونه من خلق الاعتقاد، أي يتوقف الاعتقاد في الإله على الحاجة إليه، أي لاوجود للإله إلا بهذه الكيفية، وهنا ينظر وليم جيمس إلى الإله نظرة تفاؤلية دون إن يعني له وجود حقيقياً. والسؤال ما هو الإله الذي في حاجة ألينا؟ وفي هذا نجد من يذهب إلى أن الله ليس هو المجموع الكلي، ولكنه فقط الجزء المثالي، فهو يساعدنا ونحن في وسعنا أن نساعده، وفي مضامينها الأخلاقية، فإن هذه الفلسفة الذاتية فلسفة تفاؤلية تجريدية تسامحية[30] ، وبذلك يرفض وليم جيمس أن يكون الله موجوداً بالمعنى المتعارف عليه، ويعني ذلك الخالق ذو القدرة المطلقة، وأن وجوده لا يخرج عن كونه مساعد لنا في اتخاذ موقف متفائل، يقول وليم جيمس "إن نوعية شخصية الله ربما توجد ، ونحن نعرف اليوم، أنه ليس أكثر من مبدع مجرد اختراعات مقصودة لتأكيد عظمته أتحدى أي واحد منكم

هنا تحديا كلياً أن يقوم بعمل إحصاء أو حصر لإغراءاتكم إذا كان الله موجوداً فإن الشخص سيكون شخصية خيالية ذات أثر كبير مما هو موجود"[31] لا تتفق الباحثة أو أي مسلم مع ما يدعو إليه وليم جيمس، فالله موجود يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فوجوده بالعبرة في النظر إلى النفس مصداقاً لقوله تعالى "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" [32]وهذا يغني عن ذلك الحصر لقدرة الله وصفاته وهكذا نجد تناقض مع فكرة الأديان السماوية لدى وليم جيمس، وذلك فيما يتعلق بالإله لديه من إله يخلقه الاعتقاد إلى إله أزلي متناهي يوجد ليرينا بعلم، ويعتبر وليم جيمس أن التجربة الدينية على اختلاف صورها لها خاصيتان مشتركتان من التجربة النفسية: إحداهما قلق من الألم والشر ، والأخرى شعور بالنجاة من الألم والشر بفضل قوة عليا تشهد بفعلها في حياة النفس نتائجها الحسية، وكان وليم جيمس قد انتابته وهو في سنه التاسعة والعشرين أزمة حادة من "التورستانيا" أي إحساس حاد بالعجز النفسي، فشفي منها بقبوله فكرتي العون الإلهي، والحرية الكفيلة بتغير مصير الإنسان وأمن بالتجربة الدينية وقادته دراستها إلى أنها أغنى وأعمق من المعملية، وأنها تفسر إذا ما سلمنا أننا نشارك مشاركة لاشعورية في موجود أعظم منا نستطيع أن نسميه الله أو الألوهية [33]

إذا كان الحكم على الشجرة بثمارها إذن فما هي ثمار التجربة الدينية؟

يرى وليم جيمس أن الاسم العام لثمار الدين الناضجة هي القدسية، الشخصية، والقدسية الشخصية هي التي من أجلها تكون العواطف الروحانية المركز الاعتيادي للطاقة الشخصية وتوجد صورة مركبة ومعنية للقدسية عامة لا تتغير في الأديان[34].

لقد أجمل وليم جيمس القدسية في أربع صفات:

1-الشعور بكونك في حياة أحب من حياة اهتمامات هذا العالم القليلة، والدينية واقتناع ليس فقط ذهني ولكنه أحساس بوجود قوة مثلى.

2-الشعور بالاستمرارية الحميمة للقوى المثلى في حياتنا الخاصة والاستسلام الذاتي التلقائي لسيطرتها.

3-زوال العجب بالنفس لدرجة كبيرة باعتبارها حدود الأنانية المقيدة.

4-تحريك المركز العاطفي نحو الحب، والمشاعر المنسجمة، ونحو الإيجاب وبعيدا عن السلب[35].

يرى وليم جيمس إن ثمرة الحياة الدينية هي القدسية ، ومن مظاهرها الإخلاص، والمحبة، وقوة النفس، والطهارة وأن القدسيين هم فاعلو الخير في المجتمع، بل وعاملون على زيادته بين أفراده باستمرار وهم يصدرون في سلوكهم بدافع التفاؤل، وعدم اليأس، وهكذا نجد أن وليم جيمس يؤيد القدسية بما تؤثر في تطوير المجتمع إلى الأفضل، وهذا لا يعنيه إلا من خلال نتائجها العملية.

التصوف:

وليم جيمس يقول: "إن التصوف يستغرق في اللاوعي مع ما يترتب على ذلك شل الإرادة، والعقل عند المتصوف .أي أن المتصوف في حالة اللاوعى تماما بالعالم المحسوس من حوله أي أن الصوفي في حالة تصوفه أي حالة إثارة المكان الصوفي يكون أكثر انخراطا في اللاوعي، وأن التجربة الصوفية يعيشها المتصوف بمفرده، أي لا يشعر بها الآخرون"[36]، وهذا يمثل جوهر الدين عند وليم جيمس حيث يذهب إلى أن الدين في جوهره شخصي، وأن الدين والتصوف لفظان مترادفان ويؤيد ذلك بقوله :"إن حالة الإيمان، وحالة التصوف لفظان يستدل أحدهما بالآخر من الناحية العملية"[37]

ونلاحظ هنا أن وليم جيمس لم يفرق بين الديانة الحقيقية والتصوف، كما أنه أنكر الأديان السماوية وتجاهلها، وأنكر المفهوم المألوف للدين، إذ أن التصور المألوف للدين هو الاعتقاد بدين سماوي وتصديق ما جاء بكتابه المنزل من أفكار وعقائد دون شك، أو طلب البرهنة العقلية على صحتها ومتابعة هذا الاعتقاد سلسلة مفروضة من العبادات والأوامر.

خصائص الصوفية:

1- الحالات الصوفية لا يمكن وصفها، ولا يمكن التعبير عنها في صورة لفظية دقيقة، فهي مشابها لحالات الوجدان وليس بحالات الذهن.

2- الحالات الصوفية حالات إدراكية، أي شبيهة بالوجدان إلا أن الوصول إليها من حالة عميقة وليس عن طريق البرهان؛ لأنها ومضات لها قيمة عند أصحابها.

3- الحالات الصوفية سريعة الزوال، أي لا تستمر طويلاً وحددها وليم جيمس ما بين نصف ساعة إلى ساعتين وبالرغم من سرعة زوالها إلا أنها تترك بالغ الأثر على ذاكرة صاحبها.

4- الحالات الصوفية حالات سالبة، فالإنسان لا يحدثها بإرادته، فالمتصوف حين يعاني تجربته يشعر كما لو كانت إرادته الشخصية معطلة لا دخل له في تجربته، وكما لو كانت توجد قوة عليا خارجية تطغى عليه.

إذن المتصوفة يظلون عاجزين عن بيان حقيقة مشاعرهم وقيم وجدانهم، هذا يؤدي بنا إلى أن التصوف يقوي العاطفة الدينية ويزيد في أثرها بما يضيفه من معنى فائق على الحس إلى معطيات الشعور العادية، وإذا كان التصوف لايقدم لنا المعرفة التي وعد بها فإنه يضيف على أقل تقدير أسباباً جديدة تثبت دعائم حقيقة قوة الانفعال الديني الأصيلة ضد النزعة العقلية[38].

المحور الثالث: إرادة الاعتقاد:

الاعتقاد الديني عند وليم جيمس وبما اصطبغت به فلسفته من الاعتماد على المنهج التجريبي، يقودنا إلى تساؤلين: * لماذا أتجه وليم جيمس للاعتقاد في الدين؟

- هل في الاعتقاد بالدين ما يتعارض مع المنهج البرجماتي؟

إن الإجابة تأتي من خلال الثنائية التي نلمسها عند وليم جيمس من خلال تعريفه للبرجماتية حيث يقول: "إنني أعرض الشيء ذو الأشم الغريب "البرجماتيه" كفلسفة تستطيع إشباع كلا النوعين من المطالب تستطيع أن تبقى دينية كالمذاهب العقلية، وفي نفس الوقت مثل المذاهب التجريبية، تستطيع الاحتفاظ وبأخصب الروابط بالحقائق"[39]

ومن الملاحظ أن الثنائية التي عجلت باعتقاد وليم جيمس في الإلوهية لم تكن حجة ميتافيزيقية، بل أزمة شخصية وأخلاقية ، وفي هذا يذهب وليم جيمس إلى أن هذا التحطيم النهائي للمطلق والمأساة هما من جوهر المادية العملية كما هو مفهوم في الوقت الحاضر[40]، حسب اعتقاد وليم جيمس في الدين بحكم نشأته وحالته النفسية، كما وجد في الدين السلوى والأمل في التغلب على مزاجه المتقلب.

أذن أن ارتباط وليم جيمس بالبرجماتية، أنما يدل على دوره الفعال في تأكيد النزعة الإنسانية متأثر ببحوثه النفسية، أي أنه أثرى البرجماتية، مما أدى لأ نتشارها متناول موضوع الدين بشكل لم يحد فيه من المنهج البرجماتي العلمي، وفي هذا نجد أن فيلسوفنا بحكم نشأته الرقيقة وبحكم فكره العاطفي ، قد عرف كيف يستخدم معياره في الصدق ليبرهن به هو نفسه على حقيقة

وجود الله، أليس صدق العبارة المعنية مرهوناً بنتائجها العملية في مجرى التجربة والحياة؟ إذن فهناك عبارة تقول (الله موجود) وانظر إليها متحكما إلى هذا المعيار نفسه نجد الفرق شاسعاً بين سلوك من يؤمن بصدقها، ومن لا يؤمن، فالأول يكون عادة متفائلاً ملينا بالأمل، في حين يكون الثاني يائساً ينظر إلى الدنيا وما فيها نظرة سوداء[41] وفي هذه الحالة قد وضع وليم جيمس فكرة الإيمان لكي يصل إلى معرفة أن الله موجود، أي أن النتائج مملؤة بالأمل، ولا يتشاءم من ظواهر غريبة قد تحدث أمامه، إذن ما يسعى إليه وليم جيمس هو المنهج البرجماتي العملي من حيث أنه استعداد للاعتقاد في أية فكرة طالما أنها ستؤدي إلى توافقه مع الحياة التي يعيشها، ولا تؤدي إلى التنازل عما يؤمن به، وخاصةً إيمانه بالتعددية، والمنهج العلمي، ويبدو أن الاعتقاد عند وليم جيمس مرتبط بمسائل لا يستطيع أن يقف منها موقف المتفرج، أو موقف اللامبالاة، أو الشك؛ لأن الموقف سيؤدي إلى مساعدة هذا الجانب أو ذاك ولكنها مسائل لا نستطيع أن نجزم فيها بأمر قاطع ولكن الإيمان بها سيشع نورا من حولنا وفي هذا يذهب وليم جيمس إلى أن التصميم والإرادة الحرة، والعقل المطلق، والروح بدلا من المادة، ويعني بالأفضل فيما يتعلق بنتاج هذا العالم، وذلك بسبب معناها الوحيد تكون باطلة أو تكون صحيحة فإن معناه هو تلك الارتقائية[42] وقيمة إرادة الاعتقاد عند وليم جيمس تكمن في التعبير عن قدرة الإرادة الإنسانية على الفصل في كثير من المسائل الأخلاقية والدينية بالرجوع إلى التجربة نفسها، وأن البعض يؤثر الامتناع كلية عن البحث عن الحق خشية الوقوع في الخطأ، وأما الفيلسوف العملي فإنه يعرف أن البحث مهمة خطيرة لابد فيها من الجرأة، والمخاطرة ولهذا فهو لا يريد تعليق الحكم، بل يؤثر الوقوع في الخطأ عن الامتناع كلية عن البحث[43] لأن الاعتقاد بأن هذا صواب وهذا خطأ لا يتأتى إلا من خلال التجربة حسب رأي وليم جيمس، فالاعتقاد الديني في جوهره عند وليم جيمس لا يخرج عن نطاق التفاؤل، وبعده عن التشاؤم الذي يحيط به من كل جانب، وفي ذلك يذهب وليم جيمس إلى أن هناك فريقاً من الناس التعساء يظنون أن خلاص العالم مستحيل وأن عقائدهم هي العقيدة المعروفة بالتشاؤم، والتفاؤل في المقابل ستكون هي العقيدة التي تظن أن خلاص العالم حتمي، وفي الوسط بين الاثنين يقف ما يمكن أن نسميه عقيدة الارتقائية[44].

قد وجد وليم جيمس حلاً وسطاً للتناقض بين الاتجاهين هما التجريبي والعقلي، ووجد باعتقاده في الدين وإيمانه بالتجربة أنه قدم حلا وسطا بين المنهجين التجريبي والعقلي حيث يجعل الاعتقاد في الدين، الإنسان أكثر تفاؤلا واستبشارا، وأنه يقضي على التشاؤم حيث يختفي ولا سيما بنسبة للمتدين الذي يعتقد في وجود إله انطلاقا من أن العالم حينئذ يكون في أيدٍ أمينة، يؤدي بالإنسان إلى الأمان في المستقبل خلافاً لغير المعتقد في الدين[45] وفي الواقع أن نجاح الاعتقاد يعني ثبوت صحته العملية ؛ لأن الاعتقاد هو في حقيقة الأمر دعوى بالصحة، ونحن نختبر المعتقد بممارسته، وبما يترتب عليه من نتائج في دينا الواقع أو بما يقودنا إليه من سلوك ناجح لمواجهة المشكلات الواقعية ولكن لا يعني فشل الاعتقاد بأنه غير صالح، لأن ذلك يتوقف على إرادة الشخص وميوله.

الخاتمة:

إن فكر وليم جيمس والبرجماتية قد غير مفهوم الأخلاق عما كانت عليه في السابق، فأصبحت الأخلاق عنده أخلاق كفاح ونضال ، وطبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر، وتجدد لا ينقطع وتطور لا يحده حد، فهي أخلاق تنمو نمواً متصلاً، والإنسان هو صانع الأخلاق، وهو حر في اختيار ما يناسبة من أفعال، فلا وجود لأحكام مطلقة بأي حال من الأحوال، فالأخلاق نسبية تتطور طبقاً لتغير الرأي العام.

وقد خلص هذا البحث إلى مجموعة من **النتائج وهي كالآتي:**

1- إن مصدر الأخلاق عند وليم جيمس هو الإنسان؛ لأنه هو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم، ولذا فالمعقول أن يكون الإنسان مصدر الخير والشر، والفضيلة والرذيلة ، وأن الخير خيراً بالنسبة له ، والشر شراً بالقياس إليه.

2-إن الفكرة عند وليم جيمس كأنها مشروع عمل، فبمجرد أن يطرح العقل فكرته عن أي موضوع يتناوله، ينبغي أن تتحول هذه الفكرة إلى مشروع عمل يتم تنفيذه، فإذا نجح يكون هذا أبلغ دليل على وضوح الفكرة، كان على صاحبها التمسك بها والاعتقاد فيها، وإن فشل المشروع أصبحت هذه الفكرة غامضة يجب الإقلاع عنها.

3- استخدم وليم جيمس الفهم البرجماتي للحقيقة فمحاولته الدفاع عن الدين والمعتقدات الدينية، فقد نسب إلى الأفكار الدينية قيماً عظيمة، كونها تدخل التفاؤل، والطمأنينة والراحة في النفوس، أي نفوس معتنقيها .

4- يعتبر وليم جيمس إن التجربة الدينية على اختلاف صورها لها خاصيتان مشتركتان من التجربة النفسية هما: القلق من الألم والشر ، والشعور بالنجاة بفضل قوة عليا تشعر النفس بآثارها الحسنة.

5-تكمن قيمة إرادة الاعتقاد عند وليم جيمس في التعبير عن قدرة الإرادة الإنسانية على الفصل في كثير من المسائل الأخلاقية والدينية.

الهوامش:

1- محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2005م ص7.
2- زكي نجيب محمد. من زاوية فلسفية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2 ، 1980 ، ص181.
3- المرجع نفسه، ص182.
4- محمود فهمي زيدان، وليم جيمس ، مرجع سابق، ص164.
5- وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ترجمة محمود حب الله، ج2، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949، ص84.
6- محمود زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق، ص106.
7- المرجع نفسه، ص107.
8- جعفر المهدي صاحب، في الفلسفة السياسية ، دار النخلة تاجوراء طرابلس، 1997، ص182.
9- وليم جيمس، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949 ص180.
10-وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، مصدر سابق، ص180.
11-محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق، ص170.
12-المرجع نفسه، ص171،
13-زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ، ص48.
14-محمد فتحي الشنيطي ، وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1975 ، ص48.
15-محمود فهمي زيدان، وليم جيمس ، مرجع سابق، ص240-241.
16المرجع نفسه، ص184.
17وليم جيمس ، إرادة الاعتقاد، مصدر سابق، ص127-128.

18-وليم جيمس، البرجماتية، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1965.
19-محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق، ص185.
20-زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق ص46.45.
21-وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، مصدر سابق، ص118.
22-توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها، وتطورها، دار النهضة العربية، مصر، ط4، 1979، ص297.
23-محمود فهمي زيدان، وليم جميس، مرجع سابق، ص165.
24-وليم جميس، إرادة الاعتقاد، مصدر سابق، ص85.
25-محمود فهمي زيدان، وليم جميس، مرجع سابق، ص138.
26-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
27-زكريا إبراهيم، دراسات في لفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص46.
28-محمود فهمي زيدان، وليم جميس، مرجع سابق، ص141.
29-محمد عبدالحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط2، 2006، ص158.
30-رالف بارتون، أفكار وشخصية وليم جميس، ترجمة، محمد علي العريان، دار النهضة العربية، 1965، ص905.
31-وليم جميس، إرادة الاعتقاد، مصدر سابق، ص122.
32-القران الكريم، سورة الذاريات، الآية(21).
33-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف، مصر ، 1986، ص 420.
34-محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والاعتقاد الديني، وليم جيمس نموذجاً، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2005 ، ص140.
35-المرجع نفسه، ص148.
36-المرجع نفسه، ص150.
37-محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق، ص144.
38-أميل بورتو –العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الاهواي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص249.
39-محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، مرجع سابق، ص136.
40-وليم جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص132.
41-زكي نجيب محمود، من زوايا فلسفة، مرجع سابق، ص216.
42-وليم جيمس، البرجمياتية، مصدر سابق، ص156.

43- زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص41.

44-وليم جيمس، البرجماتية، مصدر سابق، ص287.

45-محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والاعتقاد الديني، مرجع سابق، ص79.

المصادر والمراجع:

-القران الكريم رواية قالون عن نافع.

الكتب :

1-إميل بورتو- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009ف.

2-توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق.نشأتها، وتطورها، دار النهضة العربية، مصر، الطبعة الرابعة 1979ف.

3-جعفر المهدي صاحب، في الفلسفة السياسية، دار النخلة تاجوراء، طرابلس، 1997ف.

4-رالف بارتون، أفكار وشخصية وليم جيمس، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية 1965ف.

5-زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

6- زكي نجيب محمد .من زوايا فلسفية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980ف.

7- محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والاعتقاد الديني، وليم جيمس نموذجاً، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005ف.

8- محمد عبد الحفيظ، الفلسفة والنزعة الإنسانية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006ف.

9- محمد عبد الحفيظ، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية الطبعة الأولى، 2005ف.

10- محمد فتحي الشنيطي، وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1975ف.

11- محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية الطبعة الأولى، 2005ف.

12- وليم جيمس. العقل والدين، ترجمة: محمود حب الله ، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949ف.

13- وليم جيمس. إرادة الاعتقاد ، ترجمة: محمود حب الله، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949ف.

14- وليم جيمس. البرجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية القاهرة، بدون طبعة، 1965ف.

15- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، 1986ف.